الإثراء التّركيبي في اللّغة العربية

دراسة في المفهوم والأثر الدّلالي

الدكتورة: جبالي فتيحة

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

تتناول هذه الدّراسة ظاهرة الاتّساع في اللّغة العربية، والتي من أشهر صورها الثّراء في اللّفظ والثّراء في المعنى. فلم تغن لغة بمثل ما غنيت به العربية من تعدّد مفرداتها الدّالة على معنى واحد أو بتعدّد معاني اللّفظة الواحدة، إذ لا يتحدّد المعنى إلاّ بوجود السّياق. ونظرا لما تنفرد به عربيتنا كونها لغة اشتقاقية تقليبية امتازت بغنى معاجمها، ممّا زاد في ثروتها اللّغوية.

الكلمات المفتاحية: اللّغة، اللّفظ، المعنى، الدّلالة، السّياق، الاتّساع، الثّراء، الاشتقاق، التّرادف، المشترك اللّفظي.

Synthetic Enrichment in the Arabic language
A Study of the Concept and the Semantic Effect

Abstract: This study deals with the phenomenon of breadth in the Arabic language, and which among its most famous pictures both words and meanings richness. No language is similarly rich as Arabic is, in terms of the multiplicity of its vocabulary indicating one meaning or the multiplicity of meanings of one word, as the meaning is only determined by the presence of the context. Due to what is unique to our language; Arabic, being a derivational and volatile language, it was distinguished by the richness of its dictionaries, which increased its linguistic wealth.

keywords: language, word, meaning, significance , context, widening, richness, derivation, synonymy, common verbal

تعدّ اللّغة العربية إحدى اللّغات العالمية، فهي اللّسان المبين الذي خوطب به العرب، إنّه الوسيلة التّواصلية التي كان يستعملها العرب في خطاباتهم. ودليل ذلك قوله تعالى:" وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا **لِسَانٌ** عَرَبِيٌّ مُبِينٌ "[1]، كما قال تعالى:" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنا عربياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون"[2].

تاريخ تسليم البحث: 14 فبراير 2017.

تاريخ قبول البحث: 25 ماي 2017.

وقد علّق الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح على لفظة اللّسان في قوله:" فلا مناص من قبول هذه النّصوص التي لا ريب فيها كوثيقة تاريخية، فهو بذلك-القرآن- شاهدٌ على أنّ هذا الخطاب نزل بلسان قوم محمّد (صلّى اللّه عليه وسلّم)، الذي بلّغهم إيّاه ولم يكن مبيناً لهم لأنّه نزل بلسانهم العام"[3].

فالعرب الخُلّص لم يكونوا يستعملون كلمة "لغة" في كلامهم. وإنّما كانوا كغيرهم من الأمم السّامية، بل كأكثر الأمم يستعملون كلمة (لسان) للدّلالة على اللّغة. كما ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وعلى ألسنة الشّعراء كما جاء في قول العجاج:

ورَبِّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظَّمِ * عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ.**

وقال آخر:

إنّي إذَا اسْتَلْغَانِي القَوْمُ فِي السُّرَى * بَرِمْتُ فَأَلْفَوْنِي بِسِرِّكَ أَعْجَمَا4.**

فالعرب القدماء كانوا يعبرّون عن اللّغة باللّسان في العصور الجاهلية وصدر الإسلام، وقد نزل القرآن الكريم بذلك. كما وردت كلمة (لغة) في الحديث النّبوي الشّريف" من قال في الجمعة: صَهْ فَقَدْ لَغَا"؛ أيْ: تَكَلَّمَ، وكذلك (اللّغو)، قال اللّه سبحانه وتعالى:" وَالّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا **باللَّغْوِ** مَرُوا كِرَامَا"[5]، أي:بالباطل[6]. وأريد بها هذا المعنى العلمي.

والعربية التي نتكلّم بها اليوم، أصدرت ثقافات مختلفة، ونسلت من الثّقافات الإغريقية والفارسية والهندية.كما أنّها تعدّ من أشدّ اللّغات السّامية احتفاظاً بمقوّمات اللّسان السّامي الأوّل، وأكثر احتفاظاً بالحروف السّامية الأولى..."[7]. إنّ الموطن الأصلي للسّاميين جميعا هو شبه الجزيرة العربية، فهي لم تكن موطنا للعرب فقط، وإنّما كانت للسّاميين عموماً، والعرب يُنسَبون إليهم، فهم فرع من اللّغة السّامية، وكلّ السّاميين خرجوا من شبه الجزيرة العربية إلى الأماكن التي نزلوا فيها نظراً لما احتفظت به من أصول سامية- مفرداتها وقواعدها- حيث إنّه لا تكاد تعدلها في ذلك أيّة لغة سامية أخرى[8]، يقول الدّكتور علي عبد الواحد وافي: "إنَّ ما وصل إلينا من الآثار الأدبية يمثّل اللّغة العربية في عنفوان اكتمالها وعظمتها، بعد أن اجتازت مراحل كثيرة في التّطوُر والارتقاء وبعد أن تغلّبت لهجاتها، وهي لهجة قريش على أخواتها..."[9].

والواقع أنّ مجيء الإسلام ونزول القرآن بتلك اللّغة الأدبية قوّى من تلك الوحدة اللّغوية، فزاد وقوّى من شمولها، وكان تحدّيه لخاصة العرب وبلغائهم أنْ يأتوا بمثله أو بآية من مثله أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللّغوية؛ على حين دعا العامّة إلى تدبّر آياته وفقهها[10]. كما أعانهم على ذلك بالتّوسعة في القراءات، ومراعاة اللّهجات في أحرفه السّبعة[11].

ومع انتشار الإسلام انتشرت العربية وتطوّرت وكان سبب ذلك "ما وُجِدَ فيها من دلالات واشتقاقات ما عُرِّبَ فيها ونُقِلَ إليها من كلمات، وما أُقِيمَ من حولها من دراسات لا تزال حتّى اليوم النّد العنيد لأحدث دراسات لسانية"[12].

والحقيقة، أنّه لم تغن لغة بمثل ما غنيت به اللّغة العربية، من تعدّد مفرداتها الدّالة على معنى واحدٍ، أو بتعدّد معاني اللّفظة الواحدة، فيطلق على الأولى اسم "التّرادف"، ويطلق على الثّانية اسم" المشترك اللّفظي". ونظراً لما تنفرد به العربية من خصائص[13] امتازت بغنى معاجمها، والتي تذهب بالباحث إلى الكلمة وتُقَدِّمَ له التّفسير الواضح وضعاً وجمعاً؛ أيْ: طرق ترتيب المفردات، وإعداد الصّور والنّماذج الشّارحة لها ليتم إخراج المعجم في صورته النّهائية.

عوامل تطوُّر اللّغة العربية وارتقائها:

من العوامل التي أدّت إلى تطوّرها وارتقائها نذكر:

-نزول القرآن الكريم باللّهجة القرشية جعل اللّغة العربية تفرض سلطانها على جميع اللّهجات العربية الأخرى.

-عمل القرآن منذ نزوله على تهذيب اللّغة العربية، وبهذا التّهذيب تطوّرت إلى أن وصلت إلى القمّة في الأغراض، والمعاني والأساليب والألفاظ[14]. هذا ما تناوله الدّكتور علي عبد الواحد وافي قائلاً:" أمّا الأغراض فقد اتّسعت أيّما اتّساع بفضل القرآن، وانتشار الإسلام في أمم ذات ثقافات عريقة"[15]. كما جاء في قوله:" وقد ينجم عن اتّساعها، وارتقائها من ناحية الأغراض من اتّساع وارتقاء في ناحية المعاني والأخيلة والأساليب، فقد قويت على تجلية المعاني الدّقيقة التي جلبتها الفنون، وأُستخدمت فيها الحجج العقلية، والبراهين الفلسفية، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال والتّشبيه، وتهذيب أساليبها"[16].

-نشأة القواعد النّحوية من أجل الحفاظ على القرآن الكريم في أساليبه وألفاظه وتعابيره وتراكيبه، فقد نشأ النّحو العربي وتطوّر في بناء اللّغة العربية[17]. فالقرآن الكريم جعل اللّغة العربية وعاءً مميّزاً عن غيره، فأعطى لها سعة في المفردات حتّى كادت لا تحصى.

ظاهرة الاتّساع:

الاتّساع لغةً:

جاء في المخصّص لابن سيدة:" اوتسع موسع غير أنّ فاء الافتعال وقعت(واواً) فقلبت الواو (تاءً) ثمّ أُدغمت التّاء في التّاء فصارت الاتِّساع"[18].

ويرى ابن منظور في معجم لسان العرب أنّ:" السّعة نقيض الضّيق، وقد وسعه يسعه، ويسعه سعة (وسع) بالضّم، وساعة فهو وسع،...واتّسع كوسع، والتّوسيع خلاف التّضييق"[19].

يقول الزّمخشري في كتابه أساس البلاغة:" لي في هذا المكان متّسع، وأوسعت الموضوع: وجدته واسعاً..."[20].

يتّضح لنا من خلال المفهوم اللّغوي **للاتّساع** أنّه يعني: عدم التّضييق والقدرة والطّاقة.

الحدّ الاصطلاحي للاتّساع:

جاء في كتاب المزهر للسّيوطي:" أنّ اللّغة العربية تتميّز بالمرونة والمطاوعة والسّعة"[21].

وقد اهتم النّحاة بهذه الظّاهرة حيث عقد ابن السّرّاج باباً في" الأصول" فقال :" اِعلم أنّ الاتّساع ضرب من الحذف إلاّ أنّ الفرق بينهما أنّك لا تقيم المتوسّع فيه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه... "[22]، وقد ورد في كتاب الدّرس النّحوي في القرن العشرين للدّكتور عبد اللّه أحمد جاد الكريم:" أنّ وضوح المعنى هو الذي يؤدّي إلى الاتّساع، كما يقع الاتّساع رغبة في توضيح المعنى وتجويده"[23]، والتّوسعة كما جاء في كتاب الاتّجاهات النّحوية لدى القدماء للدّكتورة حليمة أحمد عمايرة:" نمط من أنماط التّحويل، وهي تتمثّل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتّساعاً ممّا كان عليه قبل التّحويل"[24].

ومن هذه الحدود الاصطلاحية يمكن أن نخلص إلى أنّه بالاتّساع يتّضح المعنى، ولا يظهر ذلك إلاّ من خلال السّياق الذي ترد فيه.

مظاهر الاتّساع التركيبي في اللّغة العربية:

يتبيّن لنا بالبحث في ثراء اللّغة العربية أنّها تقتني ثروة طائلة من الأصول، وتضمّ نظاماً متكاملاً في الاشتقاق والنّحت، فهذه اللّغة لها مباحثها الخاصّة في صرفها ونحوها وقواعدها وتراكيبها. ولعلّ من أهمّ خصائص اللّغة العربية "احتفاظها بظاهرة الإعراب".

فإذا أمعنّا النّظر "في قواميس اللّغة نجدها كلّها تعزّز هذه الدّعوة إذْ يربو الواحد منها في الغالب على عشرة أجزاء ضخام، في حين لا يزيد قاموس أيّة لغة أخرى على مجلّد واحد، لذلك خمسة من أساطين اللّغة وكبار علمائها فما أنجزوا لغاية الآن رغم الجهد والدّأب سوى الجزء الأوّل، وهو مجلّد ضخم في حرف الهمزة فقط، وهناك أسباب وعوامل شتى أدّت إلى هذه الضخامة اللّغوية في ثروة اللّغة؛ أسباب خارجية كاختلاف لهجات القبائل، وكون هذه اللّغة لغة اشتقاقية تقليبية"[25].

يقول الدّكتور **علي عبد الواحد وافي:**" كلّما اتّسعت حضارة الأمّة، وكثُرَت حاجاتُها ومرافق حياتها، ورقّى تفكيرها، وتهذّبت اتِّجاهاتها النّفسية، ونهضت لُغتُها، وسَمَت أساليبها، وتعدّد فيها فنون القول، ودقّت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق

الوضع والاشتقاق والاقتباس للتّعبير عن المسمّيات والأفكار الجديدة وهلمّ جرّا، واللّغة العربية أصدق شاهدٍ على ما نقول..."[26].

فمن الأسباب المباشرة في ارتقاء اللّغة العربية الاشتقاق، به تثرى اللّغة وعن طريقه تنمو تزداد. ولعلّ من العوامل المساعدة على اتّساع اللّغة وتطوّرها القلب والإبدال، والنّحت والتّركيب، والتّرادف والاشتراك اللّفظي. .

1- الاشتقاق:

يعدّ الاشتقاق في اللّغة العربية مظهر من مظاهر حيويتها وقدرتها على التّطور والتّجديد. كما أنّه مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطّبيعة في إرجاع الجزئيات إلى الكليات، وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع، وتتجلى في ذلك مقدرة اللّغة العربية في الرّبط والتّصنيف في الألفاظ أو في المعاني. هذا ما أشار إليه الأستاذ محمّد المبارك وقد أصاب في ذلك حينما قال:" إنّ الألفاظ العربية كالعرب أنفسهم تتجمّع في قبائل وأسر معروفة الأنساب وتحمل هذه الألفاظ دوما معناها وأصلها ونسبها، وذلك في الحروف الأصلية التي تدور مع ما يتولّد عنها ويشتق منها من ألفاظ"[27].

فالاشتقاق باعتباره عامل من عوامل نمو اللّغة وثرائها عند اللّغويين هو:" أخذُ صيغةٍ من أُخرى مع اتّفاقهما معنىً ومادةً أصليةً، وهيئةَ تركيبٍ لها، ليَدُلَّ بالثّانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً، كضَارِبٍ من ضَرَبَ، وحَذِرٌ من حَذِرَ"[28].

قال ابن فارس: الشّين والقاف أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلّ على انصداع في الشّيء، ثمّ يحمل عليه ويُشْتَق منه على معنى الاستعارة، تقول شَقَقْتُ الشّيء، أشُقُّه شقّاً، إذ صدعتَه وبيده شُقُوق، وبالدّابة شُقَاق، والأصل واحد. والشِّقَّة: شَظِيَّةٌ تُشَظَّى من لوحٍ أو خشبة[29].

وجاء في لسان العرب لابن منظور، الشَّقُ: مصدر قَوْلِكَ شَقَقْتُ العُودَ شقاً. والشّقُّ: الصَّدْعُ البَائِنُ، وقيل: غيْرُ البَائِنِ، وقيل: هو الصَّدْعُ عامّةً.

وفي التّهذيب: الشّقُّ الصَّدْعُ في عودٍ أو حائطٍ أو زجاجةٍ، شَقَّهُ يَشَقُّهُ شَقّاً فَانْشَقَّ، وشَقَّقَهُ فتَشَقَّقَ. والشّقُّ: المَوْضِعُ المَشْقُوْقُ، كأنّه سُمِّيَ بِالمصْدَرِ، وجَمْعُهُ شُقُوقٌ[30].

وجاء في الصِّحاح للجوهري، الشَّقُّ: واحد للشُّقُوقِ، وهو في الأصل مصدر. والشَّقُّ: الصُّبْعُ.

والشِّقُّ بالكسر: نِصْفُ الشّيْءِ؛ يُقَالُ: أَخَذْتُ شِقَّ الشّاه وشِقَّةَ الشّاة. والشِّقُّ أيضاً: النّاحية من الجبل. والشِّقُّ: المشَقَّة[31]. ومنه قوله تعالى:" وَتحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ"[32].

ومن خلال الوقوف على مفهوم الاشتقاق عند اللّغويين، نجد أنّ مفهوم الاشتقاق عندهم أوسع من النّحويين والصّرفيين، لأنّهم لم يُقيّدُوه بالقواعد والضّوابط كما فعل النّحاة والصّرفيون، وإنّما اعتمدوا على المعنى أوّلا، يقول الدّكتور صبحي الصّالح:" إنّما ندرس الاشتقاق في ظلال دلالته الوضعية على أنّه توليد لبعض الألفاظ من بعضٍ، والرّجوع بها إلى أصل واحدٍ يُحدّد مادّتها ويُوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يُوحى بمعناها الخاص الجديد"[33]. في حين أنّ غيرهم- النّحويون والصّرفيون- يعتمدون على اللّفظ، ويضعونه في المرتبة الأولى، فيكشفون عن هيئة الكلمة وصورتها، والقاعدة الموضوعة في صياغة الكلمات المشتقة من الأصل.

إنّ تعريف الاشتقاق عند اللّغويين فتح المجال لزيادة الثّروة اللّغوية، لأنّهم ينظرون إلى توليد لفظ من آخر، مع وجود صلة معنوية، تدلُّ على المعنى الجديد، مع اشتراك في المعنى الأصلي.

فالاشتقاق بشتى أنواعه وسيلة هامّة من وسائل الإثراء اللّغوي في العربية إذْ به نستطيع أن نشتق ما أمكن من الصّيغ الجديدة لمسايرة ركب التّطوّر والتّقدّم الحضاري والتّفاعل مع الحياة الاجتماعية.

ولإبراز الأثر الدّلالي الذي تحدثه هذه المشتقات نسوق إليكم بعض الأمثلة للتّوضيح؛ كقوله تعالى في الآية القرآنية الكريمة:" فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخَتَانِ"[34]؛ أي: فوارتان بالماء لا تنقطعان. فالنَّضْخُ للمَاءِ ونحوه، والنّضح أقوى من النّضح، فجعلوا الحاء لِرِقَّتِها للماءِ الضّعيفِ، والحاء لغلضتها لما هو أقوى منه.

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جني في أكثر من باب في خصائصه، تحدّث عنه في بابٍ من الحرفين المتقاربين يُستعمَل أحدُهما مكان صاحبه- الخصائص-وباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني؛ قولهم: هتلت السّماءُ، وهتنت، هما أصلان؛ ألا تَراهُما متساويين في التّصرف...

فبتقارب الألفاظ تقاربت المعاني، واتّحدت الحروف في المخرج، وتقاربت صِفاتِها لِكَيْ تتناسب مع المعنى، فكلّ كلمتين من الأمثلة السّابقة اتّفقتا في حرفين سواءً في الفاء والعين، واختلفتا في الفاء؛ مثل: هَتَلَ، هَتَنَ)، و(نَضَحَ، ونَضَخَ).

2- التّرادف:

جاء في "مقاييس اللّغة" لابن فارس(395هـ) في مادة (ردف): "الرّاء والدّال والفاء أصلٌ واحدٌ مطَّرِد، يدلُّ على اتّباع الشّيء. فالتَّرادُفُ: التَّتَابع، والرَّدِيفُ: الذي يُرَادِفُك"[35].

وجاء في المختار من صحاح اللّغة : "ردف الرِّدفُ: المرْتَدِفُ، وهو الذي يركب خَلْفَ الرَّاكب، وأَرْدَفَهُ: أَرْكَبَهُ خَلْفَهُ، وكلّ شيءٍ تبع شَيْئاً فهو رِدْفُهُ.

ورَدِفَهُ- بالكسرِ- أيْ: تَبِعَهُ. يُقَالُ: نزل بهم أمرٌ فرَدِفَ لَهُم آخَرُ أَعْظَمُ مِنْهُ، وأَرْدَفَهُ: أَتْبَعَهُ. واسْتَرْدَفَهُ؛ أَيْ: سَأَلَهُ أنْ يُرْدِفَهُ. والتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ"[36].

وجاء في كتاب العين: "ردف: الرِّدْفُ: ما تَبِعَ شَيْئاً فهو رِدْفُهُ، وإذا تَتابعَ شَيءٌ خَلْفَ شَيْءٍ فهو التَّرَادُفُ، والجمع: الرُّدَافَى، ويُقَالُ: جاءَ القَوْمُ رُدَافَى؛ أيْ: بعضهم يَتْبَعُ بَعْضا".[37]

ومنه "المُتَرَادِفُ" من القوافي؛ أيْ: ما كان ساكِنَاهُ الأخِيرَانِ غير مفصولين بحركة، بلْ يجتمع فيه السّاكنان، وإنّما سُمِي بذلك لأنَّ أحَد السَّاكِنَيْنِ رِّدْفُ الآخَرِ.[38] ومن خلال ما تَمَّ إيرادُهُ نَخْلُص إلى أنَّ التَّرَادُفَ في اللُّغَةِ يعني التَّتَابع والتَّوَالي.

يعدّ سيبويه(ت180ه) أوَّل من أشار إلى ظاهرة التّرادف في الكلام حين قسّم علاقة الألفاظ بالمعاني إلى ثلاثة أقسام، فقال:"اِعلم أَنَّ من كلامِهم اختلاف اللَّفِظَيْنِ لاختلاف المعنيين واختلاف اللَّفظَينِ والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين والمعنى واحد... نحو: ذهب وانطلق"[39].

وقد عرَّفَهُ فخر الدِّين الرازي(ت606ه) بقوله: "هي الألفاظُ المُفرَدَةُ الدَّالَة على شَيْءٍ واحِدٍ باعْتِبَارٍ واحِدٍ واحترزنا بقولنا: "المفردة" عن الرَّسْمِ والحَدِ، وبقولنا:"باعتباره واحد" عن اللَّفظَينِ إذْ دَلاَّ على شَيْءٍ واحِدٍ باعتبار صِفَتَينِ: كالصَّارِمِ والمُهَنَّدِ، أو باعتِبَارِ الصِّفَةِ وصِفَةِ الصِّفَة كالفَصِيحِ والنَّاطِقِ: فإِنَّهَا من المُتَبَايِنَة".[40]

كما عرَّفه الجرجاني (ت816ه) في كتابه "التَّعريفات" بأنّه:"ما كان معنَاهُ واحدٌ وأسماؤُه كثيرةٌ"،[41] إذ هو عبارة عن وُجُودِ كَلِمَةٍ أو أكثر، لها دَلاَلَة واحِدَة، أَيْ: أَنَّ الكَلِمَاتِ هُنَا هي المُتَعَدِّدَة، أَمَّا المعنى فغَيْرُ مُتَعَدِّدٍ .

فالتَّرَادُفُ إذن، هو أنْ يدّل لفظان مُنفَرِدَانِ فأَكْثَرَ دلالة حقيقية مستقلة على معنًى واحِد، باعتبارٍ واحدٍ، فكُلُّ كلمة لها دلالة خاصة بها، فالجِذْرُ المُعْجَمِي (ر ج ع) في الأَصْلِ لمعنًى مُحَدَّد، وكذلك الأَصْلُ الآخَر(ع ا د)، فتقارب معنَاهُمَا لا يعنِي بِأَنَّهُمَا مُتَرَادِفَانِ، بلْ يُوجَدُ فُرُوقٌ بينَهُمَا، ولهذا كان التَّرَادُفُ نقطَةً حَسَاسَة في اللُّغَة.

ولتبيان الأثر الدّلالي ينبغي إلقاء الضّوء على إحدى ثنائيات الباب الثّامن عشر من كتاب" الفروق اللّغوية" لأبي هلال العسكري، حيث جاء في قوله:" أنّ **الغفران** يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثّواب، فلا يستحق الغفران إلاّ المؤمن المستحق للثّواب، ولهذا لا يستعمل إلاّ في اللّه فيقال: غفر اللّه لك، ولا يقال: غفر زيد لك إلاّ شاذاً قليلاً، والشّاهد على شذوذه أنّه لا يتصرّف في صفات العبد كما يتصرّف في صفات اللّه تعالى، ألا ترى أنّه يقال: استغفرت اللّه تعالى ولا يقال استغفرت زيداً، **والعفو** يقتضي إسقاط اللّوم والذّم

ولا يقتضي إيجاب الثّواب، ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيدو عن عمرو، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته إلاّ أنّ العفو والغفران لما تقارب معنياهما تداخلاً واستعمالاً في صفات اللّه جلّ اسمه على وجه واحد، فيقال: عفا اللّه عنه وغفر له بمعنى واحد ..."[42].

لقد قصر أبو هلال العسكري(**الغفران**) على اللّه تعالى فقط، في حين نجد كلمة الغفران تسند لغير اللّه في آيات قرآنية كريمة؛ مثل قوله تعالى." وَإِنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا و**تَغْفِرُوا** فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ وَحِيمُ"[43]. وفي قوله تعالى:"قُلْ لِلَّذِينَ آمنوا **يَغْفِرُوا** لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللّهِ"[44].

تُعدُّ ظَاهِرةُ التَّرَادُفِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ظاهرة طبيعية تتمّ على مستوى اللّفظ؛ إذ تعبّر دوال كثيرة على مدلول واحدٍ. فهو من أَبْرَزِ خَصَائِصِها، وهذا ما لَفَتَ أَنْظَارَ العُلَمَاءِ، فَأَوْلَوْهَا عِنَايَةً مَلْحُوظَة، ومِمَّا يَدُّلُ على اهْتِمَامِهم، أَنَّ بَعضهم قَدْ أَفرَدَ كُتُباً للكلمات المتَّرادفة.

3- **المشترك اللّفظي:**

الشّركة والشَركة سواءً: مخالطة الشّريكين، يقال: اشتركنا؛ بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرّجلان، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر...وشاركت فلانا: صرت شريكه، واشتركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث...قال: ورأيت فلانا مُشتركاً، إذا كان يحدِّثُ نفسه أنَّ رأيه مشترك ليس بواحدٍ.

وجاء في الصّحاح للجوهري: "رأيت فلانا مشتركاً، إذا كان يحدِّثُ نفسه كالمهموم...وطريق مشترك: يستوي فيه النّاس، واسم مشترك: تشترك فيه معاني كثيرةٌ كالعين ونحوها، فإنّه يجمع معاني كثيرة، وأنشد ابن الأعرابي:

ولا يستوي المرءان هذا ابن حُرَة وهذا ابن أُخرى ظهرُها مُتَشْرَك.

وقد اشتركا وتشاركا وشارك أحدهما الآخر بمعنى التّشارك.

قال النّابغة الجعديُ:

وشاركنا قُريشاً في تُقَاهاَ * وفي أنسابها شركَ العنان.**

وشَركَهُ في الأمر يَشركَهُ: دخل معه وأشركه فيه، وأشرك فلانا في البيع؛ إذا أدخله مع نفسه فيه، وقوله تعالى:" وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي"[45]؛ أي: اِجعله شريكاً لي.

جاء في مقدمة "تاج العروس" للزّبيدي عن المشترك:" أنّه اللّفظ الواحد الدّال على معنيين فأكثر، دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة"[46]. كما قال زكريا بن محمد الأنصاري:" هو ما وُضع لمعنيين فأكثر، كالقرء للطّهر والحيض"[47]، ولقد عرّفه السّيوطي في كتابه المزهر بقوله:" وقد حدّه أهل الأصول بأنّه اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة"[48].

قال السّرخسي:" وأمّا المشترك، فكلّ لفظ يشترك فيه معان، أو أسام، لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كلّ واحد، هو المراد به على الانفراد، وإذا تعيّن الواحد مُراداً به، انتفى الآخر؛ مثل اسم **(العين)**، فإنّه للنّاظر ولعين الماء، وللشّمس وللميزان، وللنّقد من المال، وللشّيء المعين، لا على أنّ جميع ذلك مراد بمطلق اللّفظ، ولكن على احتمال كون كلّ واحد مراداً به بانفراده عند الإطلاق، وهذا لأنّ الاسم يتناول كلّ واحد من هذه الأشياء، باعتبار معنى، غير المعنى الآخر. وقد بيّنا أنّ لفظ الواحد لا ينتظم المعاني المختلفة"[49].

ولمعرفة المعنى المقصود من المشترك يقول فندريس:" ...حينما نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حدٍّ ما. إذ لا يطفو في الشّعور من المعاني المختلفة التي تدلّ عليها إحدى الكلمات إلاّ المعنى الذي يعيّنه سياق النّص..."[50].

ويذهب الدّكتور صبحي الصّالح إلى أنّ" السّياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للّفظ الواحد، وهذا السّياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذّهن، وإنّما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة، فيخلع، للّفظ المعنى المناسب. وعلى هذا لا يجد الباحث كبير عناء في فهم لفظ (الغروب)، يتردّد ثلاث مرات في ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا وَيْحَ قَلْبِي مِن دَواعي الهَوى * إذ رَحَلَ الجيرانُ عِندَ الغروبْ.**

أَتْبَعْتُهُم طَرْفِي وَقَدْ أَمْعَنُوا * وَدَمْعُ عَيْنَيَّ كَفَيْضِ الغُرُوبْ.**

بَانُوا وَفِيهِم طِفْلَةٌ حُرَّةٌ * تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الغُرُوبْ.**

ويفهم من سياق الكلام أنّ(الغروب الأولى)؛ تعني: غروب الشّمس، و(الغروب الثّانية)؛ تعني: الدّلو العظيمة المملوءة، و(الغروب الثّالثة)؛ تعني: الوهاد المنخفضة"[51]. فبالسّياق تعيّن المعاني المشتركة للّفظ الواحد القائم أساسا على التّركيب.

وبناءً على ما تقدّم من خصائص وعوامل فإنّنا نخلص إلى أنّ:

-اللّغة العربية تقتني ثروة لغوية هائلة في أصول الكلمات والمفردات.

-اللّغة العربية لغة اشتقاقية تقليبية أدّت إلى ضخامة المعاجم العربية.

-اللّغة العربية تضمّ نظاماً متكاملاً في الاشتقاق والنّحت، إذ انفردت به باعتباره الوسيلة الأولى والأساسية في نمو ثروتها وتوسيعها بألفاظ مشتقات جديدة.

-الاشتقاق سبب مباشر في ارتقاء اللّغة العربية، به يستطيع المتكلّم اشتقاق صيغ جديدة تساير ركب التّطوّر.

-ظاهرتي التّرادف والمشترك اللّفظي قضيتان دلاليتان، فإذا كان التّرادف يعبّر بدوال كثيرة عن مدلول واحد؛ فإنّ المشترك اللّفظي عامل مهم من العوامل المساهمة في إضافة معان جديدة للكلمة الواحدة، ولا يتحدّد المعنى إلاّ بالسّياق.

مراجع البحث وإحالاته:

1- سورة النّحل: الآية: 103.

2- سورة يوسف، الآية: 12.

3- أيْ: أنّه لا يخصّ لسان قوم من العرب ولا هو لسان الشّعر وحده. عبد الرّحمن الحاج صالح، السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص: 152، 153.(بتصرُّف).

4- عبد التّواب مرسى حسن الأكرت، فقه اللّغة العربية- نشأتُه وتطوُّرُه، المكتبة الأزهرية للتّراث، القاهرة، ط:01، 2013م، ص: 14، 15.

5- سورة الفرقان، الآية: 72.

6- سالم الخمّاش، فقه اللّغة، ص: 38.

7- نادية مرابط، علم اللّغة العربية، دار الرّاجعي للنّشر والطّباعة، د ط، 2011م، ص: 25.

8- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة دار نهضة مصر، القاهرة، ط08، ص: 16.

9- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 108.

10- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط06، 1984م، ص: 41.(بتصرُّف).

11- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، الصَّاحِبِيُّ في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1997م، ص: 32.

12- عبد الجليل مرتاض، العربية في ظلّ الإسلام، اللّغة العربية، مجلّة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثّقافية والعلمية للّغة العربية، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، ع: 34، السّداسي الأوّل، 2016م، ص: 85.

13- من خصائص اللّغة العربية: (الإعراب، الإيجاز، كثرة الألفاظ والمترادفات، وتعدّد الجموع، مرونة اللّغة ودقّة التّعبير).

14- عبد العال سالم مكرم، اللّغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عالم الكتب، ط01، 1990م، ص: 08.

15- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 118.

16- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 119.

17- عبد العال سالم مكرم، اللّغة العربية في رحاب القرآن الكريم، ص: 10.

18- ابن سيدة، المحكم، ج02، ص: 220.مادة (وسع).

19- ابن منظور، لسان العرب، مادة (وسع).

20- الزّمخشري، أساس البلاغة، ج02، ص: 505.(وسع).

21- جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ج01، ص: 406،400.

22-جلال الدّين السّيوطي، الأشباه والنّظائر في النّحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، ج01، ط01، 1985م، ص: 29.
23- عبد اللّه أحمد جاد الكريم، الدّرس النّحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2004م، ص: 265.
24- حليمة أحمد عمايرة، الاتّجاهات النّحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة)، دار وائل للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط01، 2006م، ص: 236.
25- سميح أبو مغلي، في فقه اللّغة وقضايا العربية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1987م، ص: 225.(بتصرُّف).
26- علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط07، 1973م، ص: 257.
27- مجد محمّد الباكير البرازي، فقه اللّغة العربية، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1987م، ص: 33.
28- جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ج01، ص: 346.
29- ابن فارس، مقاييس اللّغة، ص: 170.(شقَّ).
30- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج: 04، ص: 2300.
31- إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصِّحاح تاج اللّغة وصِحاح العربيّة، ج04، ص: 1502.
32- سورة النّحل، الآية: 07.
33- صُبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص: 174.
34- سورة الرّحمن، الآية: 66.
35- أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للنّشر، ج2، 1399هـ-1979م، ص: 503.(ر د ف).
36- محمد محي الدّين عبد الحميد، محمّد عبد اللّطيف السّبكي، المختار من صحاح اللّغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص:190، 191. (ر د ف).
37- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، ج8،ص: 22-23.(ر د ف).
38- محمد حماسة عبد اللّطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، ط01، دار الشّروق، 1420هـ-1999م، ص: 226.
39- أبو بِشر عَمرو بن عثمان بن قَنْبر، الكتاب ،تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط03، 1408هـ-1988م، ج1،ص: 24.
40- أبوعبد اللّه محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي ، المحصول في علم أصول الفقه، ط1418،3هـ،1997م، ص253.
41- السّيد الشريف علي الجرجاني، التّعريفات، دار الكتاب العربي،بيروت1985،ج1،ص253.
42- أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تح: محمد إبراهِيم سَليمْ، دار العلم والثقافة، ص: 264.
43- سورة التّغابن، الآية: 14.

44- سورة الجاثية، الآية: 14.

45- سورة طه، الآية: 32.

46- الزّبيدي، تاج العروس،تح: عبد السّتار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة تصدر عن وزارة الإرشاد والأنباء، 1965م. (ش ر ك).

47- زكريا بن محمّد الأنصاري، الحدود الأنيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ظ01، 1411،.

48- السّيوطي، المزهر، ج01،ص: 369.

49- السّرخسي: أصول السّرخسي، تح: أبي الوفاء الأفغاني ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج01،د ت، ص: 126.

50- فندريس، اللّغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي، محمّد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص: 228.

51- صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 2009م، ص: 308.(بتصرُّف).